خطبة

إياك ورفقاء السوء

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فقد روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري عن النبيّ – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: "إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبةً، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحًا خبيثة".

١ ــ هذا الحديث يرويه أبو موسى الأشعريّ – وهو عبد الله بن قيس – عن النبيّ – صلى الله عليه وسلم – ويخبر فيه النبيّ – صلى الله عليه وسلم – عن آثار الجليس الصالح، وآثار جليس السوء، وتأثير كلّ واحد منهما على جليسه، وخطورة الرفقة على الرفيق في فكره، وطباعه، وأخلاقه.

٢ ــ إن الإنسان بطبيعته ليتأثّر بما حوله، ويتغيّر بصحبة مَن معه مِن الأصحاب، وإن الإنسان قد يُصاب بعدوى في أخلاقه كما يصاب بعدوى في بدنه، وهذا شيء جُبلت عليه المخلوقات، فالماء والهواء يفسُدان بمجاورة الميتة، والناقةُ الصعبُ تصير ذلولًا إذا رافقت الناقةَ الذلول، والريحانةُ النديّة تذبل بمجاورة الريحانة الذابلة، والأعشاب السامّة تؤثر على الزرع، كما أن الحشيش الضارّ يؤثر على ما جاوره.

ألا وإن ابن آدم يتأثّر بما حوله سريعًا، ويسرق من طباع جلسائه دون شعور، ولذلك حذّر الشارع الكريم من جلساء السوء، والرفقة الذين تضرّ صحبتهم، وأوجب علينا انتقاء الرفقاء.

٣ ــ فالجليس الصالح كحامل المسك أي: من يحمل المسك [١]، والمسك نوعٌ من أنواع الطيب، وهو أطيب الطيب كما جاء في "صحيح مسلم"، ويدخل في هذا غير المسك من الطيب والعطور.

---

[١] وهو أعم من بائع المسك.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

فحامل المسك، إما أن يحذيَك أي: يعطيك من المسك، وإما أن تبتاع منه، أي: أن تشتري من المسك الذي يحمله، وإما – على أقلّ الأحوال – أن تشمّ ريحًا طيبة من المسك الذي يحمله، لأن الرائحة الطيبة يحملها الهواء إليك فتشمّها بدون مقابل.

ونافخ الكير هو من يقوم على صناعة الآلات الحديدية كالسيوف وغيرها، وعنده فرنٌ للحديد، وينفخ كير الحديد بنوافخ حتى تشتعل النار، فنافخ الكير إذا جالسه الإنسان، فإما أن يحرق الشررُ ثياب جليسه، وإما أن يشمّ جليسه منه ريحًا خبيثةً منتنةً.

٤ ــ وقوله – صلى الله عليه وسلم –: إما كذا وإما كذا، دليلٌ على أن الجليس لابدّ أن يتأثر بجليسه، وأن يخرج منه بشيء حتمًا ولابد، وأن الانتفاع بالجليس الصالح متفاوت، كما أن التضرّر بجليس السوء متفاوت.

وفائدة التمثيل بحامل المسك، ونافخ الكير الإشارة إلى أن الإنسان قد ينتفع من الجليس الصالح بكلمة واحدة، ولو في جلسة واحدة، فينتفع بهذه الكلمة قلبه، وتتغيّر حياته كلّها. وقد يتضرّر من جليس السوء بكلمة واحدة، ولو في جلسة واحدة، فيفسُد عليه قلبه، وتتغيّر حياته كلها. وذلك لأن حامل المسك ونافخ الكير ليسا من أصحاب الإنسان، وإنما قد يمرّون عليه أو يمرّ عليهم فقط، وإذا كان الأمر كذلك فكيف بالصاحب الملازم ؟! فلاشكّ أن أثره أعظم.

٥ ــ ورفيق السوء هو من أخّرك عن خير، أو دفعك إلى شرّ، سواء كان في الدين أو الدنيا، ورفقاء السوء درجات متفاوتة، يضرك كل واحد في دينك وأخلاقك بحسب درجته.

فمن هؤلاء من يؤزّك على الشر أزًّا، ويبغّض إليك الخير كثيرًا، فهذا كالإبل الجرباء، إذا أصابها الجرب فينبغي عزلها عن أصحابها عن الإبل السليمة حتى لا تنتقل إليها العدوى.

وهذا الصنف ينطبق عليه قول القائل:

واحذر مصاحبة اللئيم فإنه يُعدي كما يعدي الصحيحَ الأجربُ [1]

[1] فالإبل إذا أصابها الجرب عزلها أصحابها عن الإبل السليمة حتى لا تعديها.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ومن هؤلاء من لا يأمرك بالشر ابتداءً، لكنه كسولٌ عن الخير، ضعيفُ الهمة، فمثل هذا يفسد همتك، ويضيّع وقتك.

٦ ــ أيها المسلمون:

إن المرء ليندم – يوم القيامة – على اتخاذ الصحبة الفاسدة، حيث تنقلب صداقتهم إلى عداوة، يقول تعالى: "الأخلّاء يومئذ بعضهم لبعض عدوٌّ إلا المتقين". ويقول تعالى: "ويوم يعضّ الظالم على يديه يقول يا ليتني اتّخذت مع الرسول سبيلًا * يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانًا خليلًا * لقد أضلّني عن الذكر بعد إذ جاءني، وكان الشيطان للإنسان خذولًا".

وهذه الآية الكريمة نزلت في عقبة بن أبي معيط، فقد تأثّر بالقرآن وكان عازمًا على الإسلام، فصدّه خليلُه أميةُ بن خلف عن الإسلام، ومات الرجلان كافرين. [١]

قال القرطبي في "تفسيره": "ولم يُسمَّيا في الآية لأنه أبلغ في الفائدة، ليعلم أن هذا سبيل كل ظالم". [٢]

وهذا أبو طالب عمّ النبيّ – صلى الله عليه وسلم – عرف أن دعوة الإسلام – التي يدعو إليها ابن أخيه محمد – صلى الله عليه وسلم – هي دعوة الحق، وقد كان قاب قوسين أو أدنى من الإسلام، لولا أن سبق عليه الكتاب، فصدّته رفقة السوء عن اتباع الهدى والحقّ، فمات على الكفر والضلال خلافًا للرافضة الذين يعتقدون أنه مات على الإسلام.

وقد نزلت الآية تنهى المؤمنين عن الاستغفار لمثل أبي طالب ممن مات على الكفر، حيث قال الله تعالى: "ما كان للنبيّ والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبيّن لهم أنهم أصحاب الجحيم".

---

[١] رواه ابن مردويه وأبو نعيم في "الدلائل" عن ابن عباس، وقد صححه السيوطي في "الدر المنثور" وله شاهد مرسل أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن الشعبي. انظر: "الصحيح من أسباب النزول".

[٢] "تفسير القرطبي" (١٣/٢٥).

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وقد كان المشركون أضرّ على أبي طالب من السموم في البدن، لقد كانوا سببًا في ضلاله وموته على الكفر – في وقت هو أحوج ما يكون إلى الهدى ومعرفة الحقّ والإيمان – وكانوا سببًا في خلوده في النار، فهذه ثمار رفقة السوء.

وقال – صلى الله عليه وسلم –: "لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي". رواه أبو داود والحاكم عن أبي سعيد الخدري، وقد صحّحه الحاكم، وصحّحه من المعاصرين الشيخ الألبانيّ في "صحيح الترغيب".

وإنما حذّر النبي – صلى الله عليه وسلم – من مؤاكلة غير الأتقياء، لأن المؤاكلة تُنبي عن عمق الصحبة، ولأنها توقع الألفة والمودّة في القلوب. والمراد طعام الوليمة ونحوها، لا طعام الصدقة، فإنها تشرع ولو على غير مسلم.

وقال – صلى الله عليه وسلم –: "المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل". رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي – وحسّنه – عن أبي هريرة، وحسّنه النووي، وحسّنه من المعاصرين الشيخ الألباني.

وقوله – صلى الله عليه وسلم –: "المرء على دين خليله"، يدل على أن المرء يُحكم عليه بأصحابه وأخدانه، ولذلك يقال:

لا تسل عن المرء وسل عن قرينه إن القرين بالمقارن يقتدي.

وقوله – صلى الله عليه وسلم –: "فلينظر أحدكم من يخالل" يدل على أن المسلم ينبغي له أن يفتش في رفقته.

٧ ــ ألا وإن رفيق السوء هو كلّ من يفسدك ويضرّك، سواء كان من الناس أو كان من الكتب، أو كان من الأجهزة والآلات أو كان غيرها.

فكتب الضلال، والمواقع الالكترونية المنحرفة، والقنوات الفضائية الفاسدة، هي من جلساء السوء، لأنها تشتمل على انحرافات فكرية وأخلاقية، وإنها لتضرّ المشاهدين في أخلاقهم ودينهم كثيرًا، وربما كان ذلك دون أن يشعروا بشيء، وربما تقعد الفتاة عند هذه القنوات فتتعلم منها أمورًا لم تكن تعرفها، وأخلاقًا لم تكن تعوّدت عليها، وبعد مدة من الزمن ترى هذه الفتاة قد تمرّدت على دينها وأخلاقها.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

فعلى المسلم أن يحذر من مثل هذه الوسائل، وأن يعلم أنها ربما أفسدته وأدخلت عليه أشياء وهو لا يدري بها.

وعليه كذلك – كما يختار الرفقة الصالحة لنفسه – أن يختار الرفقة الصالحة لأهله وأولاده، فيحذّر أبناءه وبناته من رفقة السوء، ويرشد أبناءه وبناته إلى الرفقة الصالحة.

٨ ــ فابن آدم اجتماعي بطبعه يحتاج إلى الناس في حياته، والناس في حياة الإنسان يختلفون، فمنهم من ينفعه، ومنهم من يضرّه، ألا وإن من يضرّه في دينه وأخلاقه فهو من جلساء السوء الذين حذّر الشرع الكريم من مصاحبتهم، ألا وإن من نفعه في دينه وأخلاقه فهو من جلساء الخير الذين حثّ الشارع الكريم على مصاحبتهم.

٩ ــ وجلساء السوء على قسمين:

أحدهما: – من يعارض أمر الله تعالى، وهذا هو العاصي الذي يقطع عليك الطريق فيما بينك وبين الله، فيحول بينك وبين العمل بأوامر الله تعالى، فلا يعينك على إقامة الصلاة، ولا إيتاء الزكاة، ولا صلة الأرحام، ولا الرحمة بالفقراء، ولا يعينك على عفة النفس من الحرام، ولا على حسن الخلق، ولا يعينك على بر الوالدين، ولا نحو ذلك من الأوامر التي أمر الله بها.

والثاني: – من يعارض خبر الله تعالى، وهذا هو المبتدع الذي يقطع عليك الطريق فيما بينك وبين الله، فيحول بينك وبين تصديق الأخبار الواردة في الكتاب والسنة، فلا يعينك على تصديق ما جاء في نصوص الكتاب والسنة، بل يورد عليك الشبهة تلو الشبهة، ويورد عليك الإشكال بعد الإشكال، حتى يردّك عن طريقة النبي – صلى الله عليه وسلم – ويصدّك عن طريق أصحابه – رضي الله عنهم – ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فالمبتدعة يوردون عليك الشبهات في باب الأسماء والصفات، وعذاب القبر، ودار البرزخ، وما يكون يوم القيامة من الحشر، والنشر، وحساب الخلائق، والميزان، ورؤية المؤمنين لربهم، وخروج عصاة الموحدين من النار، ونحو ذلك من الغيبيات.

فالمبتدع صحبته ضارّة تضرّ المسلم في دينه وأخلاقه، لأنه يورد الشبهات على الناس، والغالب أن إفساد المبتدع أعظم من إفساد العصاة والفساق، بل جاء عن سلفنا أنهم

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

كانوا يرون أن صحبة المبتدعة أخطر وأضر على أبنائهم من صحبة الفسقة، فلينظر المسلم من يصاحب.

نسأل الله أن يحفظ علينا ديننا ويتوفانا مسلمين.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله – صلى الله عليه وسلم –، وبعد:

١٠ ــ وفي الحديث فوائد كثيرة منها:

أ ــ في قوله – صلى الله عليه وسلم –: "كمثل حامل المسك ونافخ الخير". جواز ضرب الأمثال، ولاسيّما الأمثال التي يعرفها الناس، ويفهمونها.

وفائدة ضرب المثل كشف المعنى الممثل له، ورفع الحجاب عنه، وإبرازه في صورة المشاهد المحسوس.

ب ــ ومن فوائد الحديث خطورة رفقة السوء على الإنسان، فعليه أن يبتعد عنها.

كما أن الحديث فيه حاجة الإنسان إلى الرفقة الصالحة، ولذلك أورد النووي الحديث في "رياض الصالحين" في "باب زيارة أهل الخير". وبوّب عليه في "شرح مسلم": "باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء".

ج ــ ومن فوائد الحديث أن الرفقة مؤثّرة على الإنسان لا محالة، وليس بيد الإنسان أنه يمنع تأثره بالآخرين.

د ــ ومن فوائد الحديث مدح الطِيْب ولاسيّما المسك، وأنه نافعٌ للإنسان، يزيّنه، ويجمّله، ويبعد عنه الريحة الكريهة.

هـ ــ ومن فوائده منها جواز بيع المسك وأنه طاهرٌ في نفسه، والمسك: دمٌ يخرج من الغزال عندما تجري جريًا شديدًا، فينفصل عنها وعاء خاصٌّ ويكون الدم فيه، ومن ذلك قول القائل:

فإنْ تفُقِ الأنامَ وأنت منهم * * * فإنّ المسكَ بعضُ دمِ الغزال

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

والدم نجس عند عامّة الفقهاء، لكن الحديث دلّ على أن المسك طاهرٌ، لأن الحديث ذكر حملَ المسك وبيعَه، وهذا يدلّ على أنه غير نجس، لأن النجس لا يجوز حمله، ولا بيعه.

وفي هذا ردٌّ على من كرهه من أهل العلم، وهو منقول عن الحسن البصري، وعطاء، وغيرهما، لأنه من الدم، قال الحافظ في "فتح الباري": "وقد انقرض هذا الخلاف واستقرّ الإجماع على طهارته، وجواز بيعه".

نسأل الله العظيم أن يحفظ علينا ديننا وأن يتوفّانا مسلمين.

اللهم أمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم

وأقم الصلاة.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)